السراكينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٧ — ما يحصل مما سبق الكلام عليه :

يحصل مما سبق الكلام عليه أن السراكين هم أهل السروات ، وهم قبائل تقيم فى داخل بلاد العرب من اليمن إلى ديار الأنباط ، أو جنوبى اليهودية ، بل إلى الشام

وأما (السكينيتس) فليس اسم عرب ، لا عند السلف ولا عند الرومان أو اليونان . وكيف يكونون كذلك والاسم يونانى معناه (أهل الأخبية) فقد يكونون من أبناء يعرب، كما قد يكونون من أبناء الغرب . فأهل الأخبية أو سكان الأخبية معناه : الرُحَّل ، أو أهل البادية ، الذين يئوون إلى الأخبية . فإذا علمتَ هذا ، عرفتَ الحقيقة على ما هى بلا تناقض ، ولا إشكال ، ولا غموض .

وقال الأستاذ العمودى — وهو ينقل دائماً ما جاء فى معلمة الإسلام ، وإن لم يذكرها — : « أما « السراكينوى » فلم يُرْوَ لهم ذكر يذكر فى هذه الأسفار السريانية ما خلا رسالة وصفها برداسانيس (؟ كذا) السريانى فى بداية القرن الثالث للميلاد بعنوان : Ketaba de Namose d'Ataivata[1] ذكر فيها الطائيين Tayoye و« السراكينوس » Sarakoye بقوله : إنهما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرحّالة . » انتهى

فى هذا القول نظر ، لأن ابن دَيْصان لم يذكر السراكينوس فى تأليفه — بل الـ « سَرْقايى » أى العرب السرويين ، وذكرها بأحرف إرَميَّة بالصورة التى ذكرناها فى العربية . وأنت خبير أن اليونان والرومان ومن نقل عنهم ذكروا أبناء عدنان وقحطان مرة باسم العرب ، وأخرى بالسرويين (أو الساراكين أو السرازين أو السراكينوى)، وطوراً باسم سكان جزيرة العرب، أو نحو ذلك ولم يسموهم باسم واحد

(١) (كذا . والصواب ما فى المعلمة التى نقل عنها أى Ketaba de Namose d'Atrawata والأحسن أن تكتب بحروف عربية هكذا : كتابادنا موسى داثر واثا ، أى كتاب شرائع البلاد . وأما برداسانيس ، فليس له وجود ، وإنما هو بريصان ، وهو أشهر من أن يذكر . وسماه العرب ابن ديصان أيضا (راجع مختصر الدول لابن العبرى ص ١٢٥ من طبعة بيروت) .

أما أن المسلمين عُرفوا بعد ذلك عند الغربيين بالسرازين ، فلأن الإسلام نشأ وترعرع واكتهل فى الحجاز ، مُرَّة السروات وقلبها ، ومنه امتد إلى ديار العالم . فمن الحق أن يسمى الغربيون المسلمين بالسرويين أو بأهل السرَوَات ، وهى تسمية مأخوذة من مسكنهم ، أو وطنهم ، أو منشأهم الأول ، كما أن المسيحيين سموا نصارى ، جمع نصرانى ، وأصلها ناصرانى ، نسبةً إلى الناصرة وهى المدينة التى طوى المسيح بساط أيامه أو معظمها فيها

إذن لا وَهْم ولا ضير فى تسمية المسلمين : « سرويين » أما أن أبناء الغرب خصوا هذا اللفظ بالمسلمين الذين افتتحوا ديارهم، فلأنهم كانوا قد قدموا إليها عن طريق مصر وأفريقيا الشمالية

وأما أن الفرنسيين سموا العرب (سرازين) ، أى الذرة السمراء ، فهذا من رأى الأستاذ العمودى الخاص به ، ونحن لا نوافقه عليه ، ولم يقل به أحد . وذلك لأسباب منها : أن السرازين Sarrazin عند الفرنسيين ، ضرب من القمح أو الحنطة أحمر اللون أو سوداؤه ، وليس بذرة ، واسمه بلغة علماء النبات Polygonum Fagopyrum ولم يعرف اللفظ (سرازين) فى اللغة المذكورة إلا فى المائة السادسة عشرة . أما (السرازين) بمعنى العرب ، أو السرويين ، أو المسلمين ، فكان معروفاً عندهم منذ عهد الرومان واليونان

على أن الفرنسيين يسمون أيضاً سرازين ضرباً من الجاورس ، يعرف عندهم أيضاً باسم Bucail أو bucaille وبلسان العلم Fagopyrum Esculentum فاسم النبات مأخوذ من اسم العرب لا العكس ، كما ذهب إليه حضرة الأستاذ الفاضل

٨ — تفنيد آراء المخالفين لرأينا

ذهب بعضهم إلى أن (سراكينوى أو سرازين) مأخوذ من اسم قبيل بعينه ، وكان يطلق عليه ؛ إلا أنه ليس فى التاريخ ما يثبت هذا الرأى ، فهو زائف لا محالة

أما أنه مأخوذ من (الشرقيين) ، فقد ذهب إليه جمهور علماء الغرب ، أو يكاد ، إلا أن العرب لم يسموا أنفسهم بشرقيين حتى ينقل عنهم . فالحقيقة تمزق هذا البرقع المهلهل

أما أنه من (سرّاقين) وأنه منقول عن العرب المتحضرين نابزين بهذا اللفظ الأعراب الرُحَّل ، احتقاراً لهم فهو محتمل ، لكن الأقدمين من الرومان واليونان يذكرون بلادهم ، وأنها من أقصى اليمن إلى اليهودية أو إلى الشام ، فليس الاسم من أسماء

البادية المتنقلة ، بل اسم عرب يسكنون ديارا معينة ، ليس إلا

وأما أن الاسم منحوت من « صحراء ساكن » ، فهذا من أسخف الآراء ، ولا يقول به إلا جهلة اللغة العربية ، إذ لا يُقدَّم فى هذه اللفظة المضاف إليه على المضاف ، بخلاف اللغات اليافثية ، أو الآرية

وأما أن الأنباط أطلقوا اسم (الشرقيين) على القبائل التى تناوحهم من جهة الشرق ، فالتسمية سابقة لدولة النبط ، كما لا يخفى على المطلع ، وقد ذكرها اليونان والرومان فى تواريخهم

بقى علينا أن نبيّن للقارئ معنى قول مؤرخى الكنيسة فى القرن الرابع « إن (السارازين) انضموا إلى (الاسماعيليين) الذين كانوا يقيمون فى صحراء قدش (لا قادش كما قال الأستاذ) فى مقاطعة فاران » اه . فهذا معناه أن السرويين ، وهم أهل الجبال ، انضموا إلى الاسماعيليين ، سكان السهول والصحارى ليكونوا كتلة واحدة . وليس ثَمَّ غير هذا المعنى ، ولم يعرف المهاجريون باسم السرازين ، إلا لأنهم كانوا منضمين إلى أهل السراة العليا ، أو سراة الأزد

وقد أحسن الأستاذ العمودى فى تزييف من قال إن السراكينوى لا تزال سلائلهم ممثلة إلى اليوم فى قبيلة (السوراكة) تلك القبيلة البدوية الصغيرة التى تعيش إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة ، إذ هذا حديث خرافة

فلم يبق لنا إلا القول بأن (الساراكينوى) أو (السارازين) أو (السرازين) هم (السرويون) أو أهل السراة أو السرَوات . وكانوا معروفين فى صدر الإسلام بهذا الاسم . قال فى التاج فى مادة (س ر ى) : « وكثيراً ما يذكر الدينورى فى كتاب النبات عن السرويين أى من أهل السراة » اه

وفى الكامل للمبرّد (٢ : ٢٨٧ من طبعة مصر) : « . . . ومن اليمن من غيرهم ، عبد الله بن الطُّفيل الأزدىّ ثم الدَّوْسىّ ، ذو النُّور ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً فى جبينه ، ليدعو به قومه ، فقال : يا رسول الله ، هذه مُثلة ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه ، فلما ورد على قومه بالسراة ، جعلوا يقولون : إن الجبل ليلتهب ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة » اه .

فهذه شهادة بينة على أن أهل السراة عرفوا الإسلام منذ عهد الرسول . فلا عجب بعد ذا إذا عرف المسلمون بلفظ « السرويين »

وأخذ السرويون يناضلون عن دينهم ، ويفتحون الفتوحات مع كبار القادة منذ نأنأة الإسلام . ففى تاريخ الطبرى فى أخبار سنة ١٤ للهجرة (١ : ٢٢١٧ من طبعة الإفرنج) : فخرج سعد ابن أبى وقّاص من المدينة قاصداً العراق فى أربعة آلاف : ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسَّراة ، وعلى أهل السرَوات حُمَيضة ابن النعمان بن حُمَيضة البارقى ، وهم بارق ، وألمع ، وغامد ، وسائر إخوتهم فى سبع مائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلث مائة ، منهم النخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ، مقاتلتهم ، وذراريهم ، ونساؤهم »

وفى الأغانى (١٩ : ٥٤ من طبعة بولاق الأولى) : « وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه [إسلام أسد بن كرز] ، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسد بن كرز ومعهُ رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قوساً فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النبعة ؟ ـ فقال : يا رسول الله ، تنبت بجبلنا بالسراة . فقال الثقفى : يا رسول الله ، الجبل لنا أم لهم ؟ ـ فقال : بل الجبل جبل قسر ، به سمى ابراهيم قسر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادعُ لى . ـ فقال : اللهم اجعل نصرك ونصر دينك فى عقب أسد بن كرز » اه

فهذه الأدلة وغيرها[1] ، وهى لا تعدّ ، تبين أن السرويين دانوا بالإسلام منذ عهد الرسول ، وسموا فى نشره . ولا جرم إذا سمى العرب جميعهم باسمهم أو سمى الإسلام باسمهم ، وجرى عليه الأعاجم جميعهم

لكن لما كانت السراة أو السرَوات ممتدة بامتداد جزيرة العرب من أقصى الجنوب إلى الشام ، كان فيها قبائل عديدة مختلفة الأسماء ، أطلق الأدباء من عرب وغير عرب اسم السرويين على كل عربى . أما أن هناك سروات مختلفة القبائل ، فيشهد عليها من كان فيها ، فمنها سراة الأزد ، وسراة ألمعان ، وسراة بجيلة ، وسراة بلد وادعة ، وسراة بنى على ، وسراة جُبلان ،

(١) ومن هذه الأدلة أيضاً ما جاء فى مروج الذهب ٣ : ٣٩٢ من طبعة الافرنج : « وما كان بينهم من الحروب ، إلى أن ظفرت بهم معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة ، والسراة حيل الأزد الذى هم به ، يقال له السراة . ويقال له الحجاز وإنما سمى السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة المسراة . فأقاموا به ، فكانوا فى سهله وجبله وما قاربه ، وهو جبل فى تخوم الشام ، وفرز بينه وبين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين وبلاق جبل موسى »

وسراة جنب ، وسراة الحجر ، وسراة خولان ، وسراة دوس ، وسراة الطائف ، وسراة عُذر وهذيم ، وسراة عنز ، وسراة غامد ، وسراة فهم وعدوان ، وسراة قدم ، وسراة مذحج ، وسراة المصانع ، إلى غيرها . وبهذا القدر كفاية فى هذا الموضوع

٩ — ملاحظاتنا

اللاحظة الأولى : رأينا بين مقال الأستاذ العمودي وما جاء فى ترجمة Sarrasins من معلمة الإسلام مشابهة ، وكان يحسن بحضرته أن يقول : إنه اقتبس أغلب كلامه من المعلمة المذكورة ، حتى لا تبخس الناس حقوقهم ، ولا تذهب أتعابهم سدى

الثانية : كنا نود أن تكتب الأعلام على ما يرويها العرب لا الإفرنج ، حتى لا يظهر للغير أننا نقتبس شرقياتنا من أبناء الغرب . فكان يجب أن يقال ذيوسقوريدس العين زربى ، لا أن يكتب بحروف أفرنجية ، وفى كتابتها ثلاثة أوهام ، إذا ما قابلناها برواية معلمة الإسلام . وكذلك يقال عن كتابة سائر الكلم التى دونت بحروف إفرنجية فإن الغالب عليها الخطأ

وقال (ص ١٩٤٠) برداشانيس . والمشهور ابن دَيْصان أو بردَيْصان ، وقال (فى الصفحة المذكورة): البيزانطيون. والسلف لم يقولوا إلا « البوزنطيون » وبوزنطية أى بالواو لا بالياء ، لأن اليونانيين كانوا ينطقون بها هكذا كما ينطقون بها اليوم. وهذه شهادة تاريخية على كيفية النطق بالحرف اليونانى U فى أيام العرب الأُوَل

الثالثة : كنا نود أن يتحرى أفصح الألفاظ فى الكلام . فالعرب لم تسمِّ ملوك الروم : المصفَّرة ، بل بنو الأصفر . أما المصفَّرة فهم الذين علامتهم الصفرة . وملوك الروم ما كان هذا اللون شعاراً لها

وقال الجبال السوداء . والعرب تقول : الجبال السُّود ، كما تقول الرجال السُّود والنساء السود ، ولم يقل أحد منهم الرجال السوداء، ولا النساء السوداء. وقال: من جنوب وشمال إيطاليا . ونظن أن الصواب هو : جنوبى وشمالى إيطالية . لأن الجنوب يدل على الجهة لا على قسم الأرض . وكذلك الشمال

وذكر الأديرة . والفصحاء قالوا ديارات أو دِيَرة أو أديار أو غيرها ، لكنهم لم يقولوا أديرة .

هذا ما بدا لنا فى أثناء المطالعة ، ونحن مهتمون بأمور خارجة عن هذا البحث . ولعل خطأنا أكثر من صوابنا .

(بغداد) الأب أنستاس مارى الكرملى

شركة مصر للملاحة البحرية

ببواخرها الفاخرة وفنادقها الأنيقة

تسير بكم على بركة الله إلى بيت الله الحرام

وبنك مصر يؤدى لكم جميع الخدمات المصرفية ويتولى عنكم دفع الرسوم

فخذوا أهبتكم للحج هذا العام

جميع الاستعلامات من :

شركة مصر للملاحة البحرية وفروعها